مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 19 العدد02 2023/06/05
ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

دور المعتزلة في التطور الفكري ببلاد المغرب الأوسط

The role of the Mu'tazila in intellectual development in the countries of the Middle Maghreb

زيان فطيمة[1*]
[1]جامعة مصطفى اسطمبولي – معسكر
Ziane.fatima@univ-mascara.dz
بخدة طاهر[2]
[2]جامعة مصطفى اسطمبولي–معسكر
tahar.bekhadda@univ-mascara.dz

تاريخ الاستلام: 2023/01/01 تاريخ القبول: 2023/04/23

الملخص:

إن طبيعة الدراسة في المسائل العقائدية تحتاج إلى النظر والتقصي في الأمور الفكرية للمذاهب أو الفرق مهما كان نوعها أو مهما كانت خصائصها لذلك فان الدارس للعقيدة المعتزلية في الفكر الإنساني، تستوجب عليه التقصي والتمحيص لذلك اعتبرت المناظرات العلمية من الأمور الحديثة التي دخلت الى بلاد المغرب في الفترة الوسيطية، فقد تميز المعتزلة عن غيرهم من أصحاب المدارس الكلامية، بامتناعهم عن تقليد آراء غيرهم، فكان همهم الوحيد التمسك بالآراء لا بالأسماء، والبحث عن الحقيقة لا البحث عن قائلها وبذلك عرفوا بحرية الاجتهاد، وقد اعتمدوا في كل ذلك على العقل في اثبات العقائد حتى صار إمامهم في كل شيء،فالمتمعن في تاريخ المغرب الأوسط يشد انتباهه لامحالة الأحداث المميزة التي طبعت تاريخ المنطقة العقائدي والفكري فاعتبر الفكر الاعتزالي هو النواة الأولى للتجديد في الفكر في العصر الوسيط في بلاد المغرب، بالرغم من أنهم لم تكن لهم دولة معترف بها كباقي الفرق.

الكلمات الدالة: المعتزلة، بلاد المغرب، الفكر، التطور.

---

*المؤلف المرسل: زيان فطيمةالزهراء، الايميل: ziane.fatima@univ-mascara.dz

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

Abstract:

The nature of the study in doctrinal issues requires consideration and investigation into the intellectual matters of the sects or sects, whatever their type or whatever their characteristics may be. Therefore, the study of the Mu'tazilite creed in human thought requires investigation and scrutiny. Therefore, scientific debates were considered among the modern matters that entered the Maghreb in the period Al-Wasitiyyah, the Mu’tazila were distinguished from other scholars of theological schools, by refraining from imitating the opinions of others, so their only concern was to adhere to opinions, not names, and to search for the truth, not to search for imitating the opinions of others, so their only concern was to stick to opinionm not to names, and to search for the truth, not to search for its speaker. Thus they were Know for the ijtihad, and they relied in all of this on the mind in proving belies until it became their imam in everything. The distinction that marked the ideological and intellectual history of the region, so Mu`tazili thought was considered the first nucles of renewal in thougth in the medieval era in the Maghreb, although they did not have a recongnized stat like the rest of the sects.

Keywords: Mu`tazila, Midlle Maghreb, inctellectual, development.

مقدمة:

يتعذر علينا فهم وتحليل تطور الفكر في منطقة بلاد المغرب الأوسط في الفترة الوسيطية ولا سيما ما تعلّق بالعقائد التي لم يكن للناس سابقة في خوضها، إضافة إلى الوضع السياسي للمغرب الأوسط الذي كان منطقة عبور وصراع فلم يعرف الاستقرار، ولم تنشأ به مدارس فقهية وعقدية يمكن من خلالها تتبع النشاط الفكري وبخاصة المذهبي، وغالبا ما كان يتأثر وبطريقة غير مباشرة بالتيارات والمدارس الوافدة من المشرق والأندلس، أو المجاورة كالقيروان وفاس.

لم يعرف أهل بلاد المغرب عموما والمغرب الأوسط بخاصة المذهبية الفقهية أو الكلامية بعد الفتح وإنما كانوا على طريقة السلف حتى النصف الأول من القرن الثاني الهجري اين ستشهد المنطقة دخول الفكر الخارجي وما يحمله من عقيدة، ثم باقي المذاهب الأخرى الفقهية السنية كالحنفي والمالكي، أو الكلامية بداية بالمعتزلة وانتهاءً بالأشاعرة، ورغم ذلك بقي المغرب الأوسط بعيدا إلى حد ما عن هذا التأثير، ومن هنا تكمن صعوبة دراسة الموضوع، وبغَضِّ النظر عن موقف كل طرف من الأخر ولا سيما في الجانب العقدي،

مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 19 العدد02 2023/06/05
ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

فنقول أن هذه التيارات ساهمت في تنشيط الحركة العلمية سواء بالتأليف أو من خلال المناظرات التي كانت تُعقد بين هؤلاء الخصوم، بين الحنفية والمالكية والظاهرية مثلا، أو بين هاته المذاهب السُّنيَّة وبين الشيعة أو المعتزلة، والتي كانت في نظر أهل السنة مذاهب ضلال أو حتى كفر، ولا أدل على شدة ذلك الصراع ما صُنِّف من مؤلفات في شكل ردود، أو كتب تُعرِّف بعقائد وفكر كل مذهب وتيار.

إنَّ الإشكالية التي يُمكن أن تُطرح هنا هي: ما موقع أو مكانة مذهب الاعتزال في المغرب الأوسط الذي يتسيَّده المذهب السني المالكي الذي يرفض مثل هذا الفكر ؟ وهل نجحت المذاهب القائمة في المغرب الأوسط ونقصد بها المذهبين السنِّي المالكي، والإباضي الخارجي، أو الشيعي فيما بعد من إخماد نشاط المعتزلة، وبعبارة أخرى هل كان لهذا الأخير هامشا ومجالا للنشاط، وإذا كان كذلك ففيم تمثَّل ذلك؟

1–المعتزلة **والفكر الاعتزالي**: يُعتبر المعتزلة أول وأهم مدرسة كلامية عرفها الاسلام، استخدم أصحابها العقل في تفسير عقائد الإسلام، والدِّفاع عنه ضد الملحدين، متأثِّرين بالفلسفة اليونانية، فكانوا أرباب كلام وأصحاب جدل أضفوا على الفكر الإسلامي النزعة العقلية (الملطي: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، 1968، ص35-36/ سعد رستم: الفرق والمذاهب الإسلامية، 2005، ص89).

ينتسب المعتزلة الى واصل بن عطاء الغزَّال (80-131هـ) كان من تلامذة الحسن البصري، ثم انشق عنه لما اختلفا حول مسألة الحكم على مرتكب الكبيرة التي أثارها الخوارج (أثار الخوارج مسألة التكفير بعد انشقاقهم عن علي بن أبي طالب، وقد جرهم هذا الى تكفير المسلمين في حال ارتكاب الكبيرة وأنه مُخلَّد في النار)، فذهب واصل بن عطاء الى القول بأن مرتكب الكبيرة لا هو مؤمن ولا كافر، وانما في منزلة بين المنزلتين، وبهذا الرأي يكون واصل قد خالف شيخه الحسن البصري الذي لم ينف الايمان عن مرتكب الكبائر، وقد كان انذاك الحسن البصري من كبار علماء الجمهور قبل ظهور مصطلح السنة، عندها اعتزل واصل مجلس الحسن البصري فلقب هو وأتباعه بالمعتزلة، وعلى يديه تبلور فكر الاعتزال (الشريف المرتضى: أمالي المرتضى أو غرر الفوائد ودرر القلائد، 1954، ج1، ص165/ حسن صادق: جذور الفتنة في الفرق الإسلامية، 2004، ص136-137).

أولى المعتزلة مكانة كبيرة للعقل كنوع من التفكير الحر، ومحاولة التجديد بدل التقليد، ومما أثاروه في هذا المقام وجوب النظر والاستدلال كشرط لصحة إيمان العبد، واعتبروا إيمان العامي المقلد غير صحيح (الفاكهاني: المنهج المبين في شرح الأربعين، 2007، ص119)، وإذا كان أهل السنَّة قد أعابوا عليهم هذا المنحى، والذي يعود إلى طبيعة المواضيع التي خاضوا فيها وما يُمكن أن يعتري صاحبها من شبهة (الخياط

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

المعتزلي: الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد، 1993، ص106) فإنَّ غيرتهم على الدين كانت واضحة سواء في سيرتهم أو في تصديهم للزنادقة والملحدين.

استند المعتزلة في تفكيرهم وعقيدتهم على خمس مبادئ أساسية يلقبونها بأصول الاعتزال، وهي:

– التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (الخياط المعتزلي: الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد، 1993، ص106/ الشهرستاني: الملل والنحل، 2003، ص41–42)) فقد تميز المعتزلة عن غيرهم من الفرق الاسلامية الأخرى بهذه المبادئ الخمسة والتي تأثرت بها بعض المذاهب الأخرى وبخاصة الخوارج كالاباضية، ثم الشيعة، أمَّا السنَّة فلم يتأثروا بهم باستثناء الأشاعرة المتأخرين، ولفهم عقيدة المعتزلة يجدر التعريف بالأصول أو المبادئ الخمسة باختصار.

– **التوحيد**: ويعني التنزيه المطلق للذات الالهية وهذا يقضي نفي الصفات مستندين في ذلك على قوله تعالى:((**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**)) (سورة الشورى: الآية 11)، وقد دفعهم هذا الرأي الى تأويل الآيات القرآنية التي تفيد التشبيه كاليد والوجه، وأعطوها معاني مجازية (أبو القاسم البلخي: المقالات من كتاب فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، 2017، 3/ بن حمدة ، المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية، 1968، ص170) وذلك خوف الوقوع في التجسيم.

– **العدل**: وهو يقتضي أن العباد خالقون لأفعالهم، ولا يجوز أن تكون مخلوقة لله (ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، 2007، ج3، ص128/ عبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق، ص113) بقدرة استودعها الله فيهم مستدلين على ذلك بقوله تعالى:((**فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**)) (سورة الحجر: الآيتان 92–93) وبالتالي فهم مسؤولون عن أفعالهم خيرا كانت أو شرا، والعدل الإلهي لا يقتضي تدخل الله في أفعال عباده لأنه سيحاسبهم مصداقا لقوله تعالى:((**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**)) (سورة البقرة: الآية 286) فلم يجر الله أمر الإيمان على الإجبار والقسر، ولكن على الاختيار والتمكين (الزمخشري: الكشاف، 2009، ص146)، ومن العدل أيضا أنَّ الله لا يفعل إلا الحسن ولو خلق الشر وحاسب الخلق لكان ظالما لهم (القاضي عبد الجبار: المغني في أبواب العدل والتوحيد، د.ت، ج1، ص3–4/ القلقشندي: صبح الأعشا في صناعة الإنشا، 1918، ج13، ص251) .

– **الوعد والوعيد**: وهو يرتبط بالعدل الالهي بحيث يجاز المطيع ويعاقب العاصي، عكس المرجئة الذين قالوا لا يضر مع الإيمان معصية، ولا ينفع مع الكفر طاعة.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

– **المنزلة بين المنزلتين**: وهو المبدأ الذي تميز به المعتزلة عن غيرهم من الفرق الاسلامية وهذه المسألة طرحها الخوارج والشيعة وكفَّروا بها مرتكب الكبيرة، في حين ذهب جمهور أهل السنة إلى اعتباره مؤمنا عاصيا، فانفرد المعتزلة بالقول بأنه ليس بمؤمن ولا بعاص بل هو في منزلة بين المنزلتين (عبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق، 2008، ص113).

– **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**: يعتبر هذا المبدأ عاملا مشتركا بين كافة المسلمين، وهما عند المعتزلة واجبان بأي جهة استطاعهما المسلمون بالسيف فما دونه (أبو القاسم البلخي: المقالات من كتاب فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، 2017، ص4).

دخول المعتزلة والفكر الاعتزالي إلى المغرب الأوسط:

لم تذكر المصادر التي تناولت الموضوع تاريخا دقيقا لدخول رجال الاعتزال إلى بلاد المغرب عموما والمغرب الأوسط بصفة خاصة، إلا أنَّ المؤكد أنه كان في حياة واصل بن عطاء، وقد يكون ذلك متزامنا مع نشاط الخوارج خلال الربع الأول من القرن الثاني الهجري، في شكل دعاة بعثهم واصل نفسه ومن أشهرهم عبد الله بن الحارث (القاضي عبد الجبار: المنية والأمل، د.ط، ج1، ص25) ويبدو أنهم وجدوا آذانا صاغية وأتباعا بالنظر إلى عدد من اعتنق مذهبهم، وإذ يقدِّر البكري عددهم بثلاثين ألفا، حيث كان مستقرهم قرب تيهرت في بيوت كبيوت الأعراب يحملونها (البكري: المسالك والممالك، 2003، ج2، ص249) بينما يذكر البلخي أنَّ عددهم أكثر من ذلك بكثير فيقول:" وفرَّق رسله في الآفاق يدعون إلى دين الله، فأنفذ إلى المغرب عبد الله بن الحارث فأجابه الخلق، وهنالك بلد يدعى البيضاء يقال أنَّ فيه مائة ألف يحملون السلاح، وهي نفس العبارة التي ينقلها عنه الحميري، ثم يضيف البلخي في موضع آخَرَ قائلا:" وبها صنف من الصفرية يُعرفون بالمعرورية يقولون بالعدل لا يُحصي عددهم إلا الله " (البلخي: المقالات، 2017، ص7-8، 69/ نشوان الحميري: الحور العين عن كتب العلم، 1985، ص262) فإذا صحت رواية البلخي الثانية فإنَّ عددهم سيكون أكبر وذلك باعتناق بعض الصفرية لمذهب الاعتزال، وهو ما نلمسه في رواية القاضي عبد الجبار عن الداعي عبد الله بن الحارث الذي بعثه واصل بن عطاء عندما يقول:" فأجابه خلق كثير " (القاضي عبد الجبار: المنية والأمل، ج1، ص25) بينما اكتفى ابن خرداذبة بالإشارة إلى تواجدهم دون ذكر العدد قائلا:" وفي يدي محمد بن براهيم البربري المعتزلي مدينة تلي تاهرت تدعى إيزرج " (ابن خرداذبة: المسالك والممالك، 1889، ص88)، وتوكد المصادر الإباضية كأبي زكريا الورجلاني (ت

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

470هـ) وجودهم بالقرب من تاهرت الرستمية ، وهم قوم من البربر وافق وجودهم عهد الامام عبد الوهاب بن رستم (171-208هـ).

عاش المعتزلة في كنف الدولة الرستمية الإباضية في المغرب الأوسط، التي عُرِف أئمتها بالتسامح والتعايش مع المذاهب الأخرى، ويبدو أنَّ الواصلية لم يستعملوا القوة والثورة ضد السلطة القائمة إلا في بعض المناوشات أو الصراعات التي انحازوا فيها إلى طرف معاد للدولة، لكن السؤال المطروح هو: لماذا لم يسعوا إلى تأسيس إمارة مذهبية مستقلة خاصة بهم لا سيما وأنَّهم كانوا مائة ألف ممن يحملون السلاح حسب النص الذي أوردناه سابقا؟(البلخي: المقالات، ص7-8، 69) فهل كانوا يفضلون النشاط المذهبي السلمي على الثورة مثلا، أم هناك أسبابا وظروفا منعتهم من ذلك؟ وحتى لا نطيل في الاستطرادات والإجابة عنها نخلص إلى أنَّ المعتزلة كانوا يمثّلون مذهبا إسلاميا له مكانته ورجاله المجادلين والمدافعين عنه (سليمان الشواشي: واصل بن عطاء وأراؤه الكلامية، 1993، ص253). وإذا كان القرنان الثاني والثالث هما فترة ازدهار مذهب المعتزلة في المغرب الأوسط، فإنَّ القرن الرابع الهجري الذي سقطت فيها الدولة الرستمية وتوفي فيه آخر أكبر أعلامها في المشرق وهو أبو هاشم الجبائي (ت321هـ) يُمثل مرحلة الإنكفاء والتقهقر (زهدي جار الله: المعتزلة، 1974، ص221) وذلك إثر قيام الدولة العبيدية الشيعية الباطنية التي كانت أكثر قوة وحماسا لنشر مذهبها، في حين تم التحول في القرنين الخامس والسادس هجريين لصالح المدرسة السنية خاصة بعد تبنيها المبادئ الاشعرية، وفي ظل كل هذا فإن المعتزلة تعتبر المدرسة الأكثر تأثيرا فكرا منهجا على مختلف الاتجاهات المذهبية في المشرق والمغرب .

2: المعتزلة ودورهم في التطور الفكري لبلاد المغرب الأوسط:

إذا كان من المؤكد وجود الفكر الاعتزالي في كل من إفريقية والمغرب الأوسط، فقد اختُلف في وجود المعتزلة بالمغرب الأقصى، فابن خلدون يُؤكد وجود الواصلية هناك بحديثه عن إدريس الأول الذي نزل بمدينة وليلي في ضيافة قبيلة أوربة البربرية التي كان يترأسها اسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي المعتزلي المذهب (الشهرستاني: لملل والنحل ، 2003، ص40-41) وذلك منذ النصف الثاني من القرن الثاني هجري، وإذا سلَّمنا بهذا الرأي، فإنَّ مذهب المعتزلة يكون قد انتشر في كامل بلاد المغرب تقريبا، مع ملاحظة أنَّ هذا الانتشار يتناقص كلما اتجهنا غربا.

لا شكَّ أنَّ وجود الاعتزال كمذهب إسلامي قوي بفكره ورجاله قد ساهم في تنشيط الحياة العلمية بالمنطقة، لا سيما وأنَّ المعتزلة كانوا يُمثلون مدرسة فكرية عقلية (عقلانيين) بتحكيمهم العقل في القضايا

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

العقدية (ابن برهان: الوصول إلى الأصول، 1984، ج1، ص358) فلم يعتمدوا على النقل فقط، بل دعوا لإعمال النظر والاستدلال مستندين في ذلك إلى آيات قرآنية تحث على التدبُّر والتفكُّر، ومنها قوله تعالى:((أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ)) (سورة النساء، الآية 82) وهو القائل:" الحق يُعرَف من وجوه أربعة: كتاب ناطق، وخبر مجتمع عليه، وحجة عقل، وإجماع " (أبو هلال العسكري: الأوائل، 1987، ص374) وعليه فإنَّ ظهور الاعتزال المبكر في بلاد المغرب الاسلامي هو الذي أعطى لهذه المدرسة الكلامية قوة تأثيرية كبيرة على المذهبين الاباضي والشيعي بصفة خاصة، وبدرجة أقل بالنسبة للمذهب السنِّي، وذلك بسبب براعتهم في الكلام والمناظرة، قال عنهم الحميري:" ولهم في معرفة المقالات والمذاهب المبتدعات تحصيل عظيم وحفظ عجيب وغوص بعيد (نشوان الحميري: الحور العين عن كتب العلم، 1985، ص260).

برز كثير من العلماء في المذهب سواء ممن أُرسِلوا دعاة أو ممن تكوَّنوا على أيدي هؤلاء الدعاة في المنطقة، فكان منهم القضاة والأساتذة وبخاصة في عهد دولة الأغالبة بإفريقية كأبي محرز الذي كانت له حلقة تدريس يلقي فيها تعاليم الاعتزال، وسليمان بن أبي الحفص الفراء (ت 269هـ) (بن حمدة ، عبد المجيد ، المدارس الكلامية بافريقية الى ظهور الأشعرية ، ص102) في حين لم تذكر المصادر علماء المعتزلة ممن كانوا في المغرب الأوسط، ويبدو أنَّ هؤلاء لم يهتموا بالتأليف وإنما اعتمدوا على مصنفات أئمتهم المشرقية، لكنهم برعوا في فن أو علم المناظرات التي غالبا ما كانوا يفحمون بها خصومهم حتى أنَّ الأئمة الرستميين كانوا يستعينون في مناظرتهم بفقهاء ومتكلمي نفوسة (أبو زكريا يحي، سير الأئمة وأخبارهم، 1979، ص102) بل إنَّ علماء الإباضية المعتد بهم مثال محمود بن بكر، وعبد الله بن اللمطي كانوا يتجنبون جدالهم، وقد اعترف هذا الأخير بتخوفه من أسئلة أحد المعتزلة الذي ناظره بمكان قرب نهر مينة، حتى أنه استحيا من النهوض إليه (البرادي أبو القاسم: الجواهر المنتقاة، 2014، ص199).

1 تقارب الفكر المعتزلي والفكر الاباضي في المغرب الأوسط:

تتجه العقيدة الفكرية عند الاباضية الى المسائل ذات الطابع السياسي والاجتماعي بالدرجة الأولى، أما المسائل الميتافيزيقية بالنسبة لهم فهي أمور ثانوية (ابن حمدة ، المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية، ص72)، ومن المسائل التي اهتم بها الخوارج وناقشوها وهي مسألة مرتكب الكبيرة التي تتناول السلوك الانساني كما أنها تحمل في طياتها بعدا سياسيا يهدف الى مخالفة حكم بني أمية ثم بني العباس الذين عطلوا في نظرهم مبدأ الشورى، وصادروا إرادة الأمة، لهذا حكم عليهم بالكفر لكنه كفر نعمة لا يستلزم اخراجهم من الملة في حين ذهب المتطرفون الى إخراج مرتكب الكبيرة من الملة مما يجيز قتله، ورغم الصراع الذي كان

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

قائما في بلاد المغرب عامة والأوسط خاصة بين المعتزلة والإباضية فإنَّ هؤلاء أي الإباضية أخذوا بالكثير من أراء ومعتقدات المعتزلة، ومن الأصول التي شاركوهم فيها مفهومهم للتوحيد ونفيهم للصفات، وتأويل الآيات القرآنية التي تفيد التشبيه.

إنَّ المتمعن في المعتقد الاباضي يرى مدى التقارب الفكري بينه وبين الاعتزال، ولكن هذا التقارب لم يتحقق الا في القرن الرابع هجري وما تلاه، وهو ما يظهر في مؤلفات الاباضية الكلامية خاصة في أراء أبي عمار عبد الكافي المتوفي في القرن السادس هجري وقد عاش في ورجلان مدة من الدهر (عبد الكافي، أبي عمار الاباضي، الموجز، ص287) ومن أبرز دلالات التقارب المذهبي بين المعتزلة والاباضية هو تحول المعتزلة في وادي ميزاب بالمغرب الأوسط الى المذهب الاباضي في مطلع القرن الخامس هجري سنة 422هـ – 1031م على يد الشيخ أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الفرسطائي (بحاز أبراهيم بكير، الميزابيون المعتزلة، ص127) والسؤال المطروح هنا هل هذا التحول هو نتيجة اقتناع بالمذهب الإباضي، أم هو لسبب اجتماعي سياسي كالإحساس بالعزلة أو خوفا من الاضطهاد مثلا، وايًّا كان فإنَّ المبرِّر المحتَمل لذلك هو حالة التراجع التي آل إليها مذهب الاعتزال كما أشرنا أعلاه.

بالرغم من أن الإباضية هي فرقة سياسية بالدرجة الأولى الا أنها كانت في حاجة ماسة لتبرير مواقفها السياسية من الناحية الدينية وهو ما دفعهم الى الخوض في العقائد منذ فترة مبكرة، كما أن دافعهم في الاهتمام بالعقائد هو حفاظهم على تماسك طائفتهم وحمايتها من الذوبان في غياب أسس عقائدية واضحة تميزهم عن غيرهم وقد اعتبر الاباضية من أكثر الفرق الخارجية الأقرب عقائديا للمعتزلة فقد كانت تتماشى مع أطروحاتهم الفكرية لأن المعتزلة وقفوا موقفا وسطا بين الخوارج والشيعة وكذا السنة، ومن بين الآراء السياسية التي تميزت بها الاباضية عن غيرها ربطهم بين الايمان والعمل وبالتالي فمن خالف عمله ايمانه فقد كفر.

ازدهرت الحياة العلمية و الفكرية بعد أن بدأت مدرسة العزابة تؤتي ثمارها فبرز خلالها العلماء المتكلمون ومنهم الفرسطائي (ت 504هـ) الذي أخذ العلم عن والده أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي من مؤلفاته في علم الكلام "في مسائل التوحيد"(الطالبي، عمار، المرجع السابق، ص209)، أما القرن السادس هجري فقد برز " أبو عمار الكافي بن أبي يعقوب التنوني الورجلاني " وهو الذي قال فيه المستشرق الألماني لويتسكي أنه كان أكثر مؤلفي الاباضية علما" (LEWITESKI ,melenges,berbres islamique ,p278)

سُنَّة المغرب الأوسط وموقفهم من الاعتزال والمعتزلة:

يتميز الموقف المبدئي لأهل السنة برفضهم الخوض في مجمل المسائل والأفكار العقدية وهو ما نراه في موقف أبي حنيفة النعمان عندما نهاه شيخه حماد عن الخوض في الجدال في مسألة العقائد فقال: «راجعت نفسي وتدبرت وقلت أن المتقدمين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين ... بل أمسكوا عن ذلك ونهوا أشد النهي."(أبو زهرة، تاريخ المذاهب الاسلامية، ص 23).

سار الامام مالك وباقي جمهور الفقهاء على الرفض في الخوض في الجدال المثار حول العقائد، والفتنة الكبرى بين الصحابة التي قال عنها عمر بن عبد العزيز:"تلك دماء طهر الله منها أيدينا فلا نلطخ بها ألسنتنا "(الريس، محمد ضياء، النظريات السياسية الاسلامية، ص81)

أما في بلاد المغرب فان المشتغلين من السنة بعلم الكلام كانوا قلة قليلة فإنهم لم يرضوا بفكر المعتزلة في موضوع العقائد، ولم يُقبِلوا على الخوض فيه إلا من أجل الرد على مخالفيهم من أصحاب المذاهب الأخرى (سياسية كانت أو عقدية) ومن أبرز الفقهاء المالكية الذين ردوا على أصحاب الفرق: الإمام ابن سحنون (ت 256هـ) كما برز في مواجهة الشيعة سعيد بن الحداد (ت 302 هـ) أمَّا في التأليف على مذهب السنَّة فابن أبي زيد القيرواني (286 هـ) (بن حمدة، المرجع السابق، ص26-42). ومن بين المؤلفات التي تركها محمد بن سحنون في علم الكلام والتي تُعرف بكتب الردود نذكر: كتاب الحجة على القدرية، وكتاب الحجة على النصارى، وكتاب الرد على أهل البدع (عياض، ترتيب المدارك، صص106-107)

أما النصف الثاني من القرن الثالث هجري فقد برز الامام أبو محمد عبد الله بن أبي يزيد القيرواني واليه انتهت رئاسة العلم المالكية في بلاد المغرب حيث رحل اليه طلاب العلم من مختلف أقطار المغرب، والذي ترك عددا من المؤلفات تناولت في جانب منها أو كلها قضايا في العقيدة، ومن أشهرها "كتاب الرسالة " الذي تميز بطابعه الفقهي إلا أنه تناول في بدايته عقيدة أهل السنة (العابدين، بن حنيفة ، العجالة في شرح الرسالة لأبي يزيد القيرواني، صص 29-35)، ويعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر الفقهية المالكية بعد الموطأ والمدونة، حيث تضمن حوالي أربعة الاف مسألة فقهية (القيرواني، أبا يزيد، الرسالة في فقه الامام مالك، صص 5-7) وقد تميزت هذه الرسالة بالدقة و البساطة وهو الأمر الذي ساعد في انتشارها بشكل كبير في منطقة بلاد المغرب الاسلامي عامة.

خاتمة: ومما يمكن استنتاجه من خلال ما أوردناه عن المسائل التي خاض فيها المعتزلة في إفريقية، أن جل المناظرات التي ذكرت في التراجم بين أهل السنة وبين المعتزلة، لم نجد ما يثبت تفوق أهل السنة على أتباع المذهب الاعتزالي، بل هناك إغفال من المصادر عن المناظرات التي انتصر فيها المعتزلة سواء ضد الإباضية أو

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ضد السنة. أما في المغرب الأوسط فالواضح أن الاباضية لم تقو على الرد على الواصلية، ولا شك أنَّ الاعتزال قد نفذ في أوساط العامة، بحيث أضحى يهدد الوجود الاباضي أو على الأقل ينافسه، ولولا براعة بعض إباضية نفوسة مثل مهدي النفوسي في الجدل والكلام لراج مذهب الواصلية في أرجاء المغرب الأوسط.

رغم نفور المالكية من الخوض في الكلام، ونهيهم الشديد عن الجدال إلا أنهم وجدوا أنفسهم مضطرين إلى دخولهم معتركه، وهو ما أفادهم في التصدي للشيعة الباطنية لاحقا.

لا يجب أن نحكم على المعتزلة بأحكام قاسية كالتكفير والتفسيق إلا من شذَّ منهم عن الحق لا سيما وأنّه كانت لهم نوايا حسنة في نصرة الدين.

قائمة المراجع:

1-أبو زهرة، تاريخ المذاهب الاسلامية، طبعة دار الفكر العربي، القاهرة، 1996.

2-**بحاز** ابراهيم بكير، الميزابيون المعتزلة، مجلة الحياة، العدد 1، السنة 1998، المطبعة العربية، القرارة.

3-البرادي أبو القاسم بن إبراهيم: الجواهر المنتقاة، تصحيح وتقديم وتعليق أحمد بن سعود السيابي، دار الحكمة، لندن، ط1، 2014.

4-ابن برهان أحمد بن علي: الوصول إلى الأصول، تحقيق عبد الحميد أبو زنيد، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1984.

5-**البكري**: المسالك والممالك، حققه ووضع فهارسه جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003.

6-البلخي أبي القاسم: المقالات من كتاب فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تحقيق فؤاد السيد، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2017.

7-ابن حزم أبي محمد علي بن أحمد: الفصل في الملل والأهواء والنحل، وضع حواشيه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2007.

8-حسن صادق: جذور الفتنة في الفرق الإسلامية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2004.

9-بن حمدة، عبد المجيد، المدارس الكلامية بافريقية الى ظهور الأشعرية، دار العرب، تونس، 1968.

10-ابن خرداذبة أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله: المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، 1889.

11-الخياط المعتزلي أبي الحسين عبد الرحيم بن محمد: الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد، تقديم وتحقيق وتعليق نيبرج، الدار العربية للكتاب، بيروت، ط2، 1993.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102
12-الريس، محمد ضياء الدين، النظريات السياسية الاسلامية، ط6، مكتبة دار التراث، القاهرة، 1976.

13-عبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق، اعتنى به وعلق عليه الشيخ إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط4، 2008.

14-الزمخشري أبي القاسم جار الله محمد بن عمر: الكشاف، 2009اعتنى به وخرّج أحاديثه وعلق ليه خليل مأمون شيحا، دار المعارف، بيروت، ط3، 2009.

15-زهدي جار الله: المعتزلة، **الأهلية** للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1947م.

16-سعد رستم: الفرق والمذاهب الإسلامية، الأوائل للنشر، دمشق، ط3، 2005.

17-سليمان الشواشي: واصل بن عطاء وأراؤه الكلامية، الدار العربية للكتاب، 1993.

18-الشريف المرتضى: أمالي المرتضى أو غرر الفوائد ودرر القلائد، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1، مج2، 1954.

19-الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم: الملل والنحل، تحقيق محمد عبد القادر القاضي، المكتبة العصرية، بيروت، 2005.

20-طالبي عمار، أراء الخوارج الكلامية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1978، الجزائر.

21-العابدين بن حنيفة، العجالة في شرح الرسالة لابن أبي زيد القيرواني، ج1، طبعة دار الامام مالك، 2006.

22-عبد الكافي، أبو عمار الاباضي، الموجز، تحقيق عمار طالبي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1990.

23-القاضي عياض، محمد، ترتيب المدارك، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 2013.

24-الفاكهاني عمر بن علي: المنهج المبين في شرح الأربعين، حققه وخرج أحاديثه أبو عبد الرحمن شوكت، دار الأصمعي، الرياض ط1، 2007.

25-القاضي عبد الجبار: المغني في أبواب العدل والتوحيد، تحقيق مجموعة من الأساتذة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ط، 2013.

26-القلقشندي أبي العباس شهاب الدين أحمد بن علي (ت821هـ): صبح الأعشى في كتابة الإنشا، دار الكتب السلطانية، القاهرة، 1922.

27-القيرواني، بن أبي زيد، الرسالة في فقه الامام مالك، مراجعة عبد الوارث محمد علي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، 1971.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102
28-المرتضى الشريف علي بن الحسين: أمالي المرتضى أو غرر الفوائد ودرر القلائد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1954.

29-الملطي أبي الحسن محمد بن أحمد: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تقديم وتعليق محمد زاهد الكوثري، مكتبة المعارف، بيروت، 1968.

30-نشوان الحميري أبو سعيد (ت573هـ): الحور العين عن كتب العلم الشرائف دون النساء العفائف، تحقيق وضبط وتعليق، مصطفى، دار أزال، بيروت، ط2، 1985م.

31-أبو هلال العسكري: الأوائل، تحقيق وضبط وتعليق محمد السيد الوكيل، دار البشير، طنطا، ط2، 1987.

32-Lewiki, T, Melenges, Berbers-Islamique, Revue des etudes Islamiques, annee1936, cahier3, paris